شعر إدريس بن اليمان اليابسي الأندلسي

د. أحمد عبد القادر صلاحية

القسم الأول

إدريس بن اليمان اليابسي:

شاعر من فحول الشعراء الأندلسيين عاش في مرحلة حرجة من مراحل الوجود العربي في الأندلس، إذ شهد عهد الفتنة أواخر عصر الدولة الأمويّة في الأندلس وعصر دول ملوك الطوائف، ويعدّ بذلك حلقة وصل مهمة بين شعراء هذين العصرين. وكان النقّاد الأندلسيون يعدّونه خلفًا لمتنبّي الأندلس في عصر الدولة الأمويّة ابن درّاج القسطلّي، قال الحميدي: «لم يكن بعد ابن درّاج من يجري عندهم مجراه».

ولا غرو كذلك أن يكتوي بنار تلك الفتنة وأن يطَّرح كلّ مطرح ويتلون شعره في عصر الطوائف المتعددة، ولا عجب أن تضيع أغلب أشعاره – المجموعة قديمًا – مع ما ضاع من شعر أندلسي.

ولم يحظ هذا الشاعر الكبير – حديثًا – بأيّة دراسة منفصلة صغيرة كانت أم كبيرة، وليس له حيِّز كاف ولا حضور واضح في أغلب دراسات الأدب الأندلسي العامّة، لذلك فإنّي أحاول بتعريفي هذا الشاعر المشهور في عصره، والمغمور في عصرنا، وبجمع ما تبقّى من أشعاره، أن أضعه موضعه اللائق به في مصافّ كبار الشعراء الأندلسيين، وأن أوضِّح جانبًا جديدًا من صورة الأدب الأندلسي، وأزيد في خطوطها وألوانها وتفصيلها، كي ترجع – كما كانت – جميلة ساحرة أخّاذة.

حياته:

اسمه ونسَبه:

هو إدريس بن اليمان[١] أو اليماني[٢] العبدري[٣] اليابسي[٤] الشبيني[٥] الأندلسي، ويذكر كل من الذهبي (ت ٧٤٨هـ(والصفدي (ت ٧٦٤هـ(أن

(١) البديع في فصل الربيع (تح. د. كردي): ٦٩ – ١٠٩– ١١٣– ١١٧– ١٤١، الإكمال ٤٧٥/١، جذوة المقتبس: ١٦٠–٧٦، اقتباس الأنوار: ٨٢، اختصاره: ١٩٠، بغية الملتمس: ٢٣٦، الأنساب ٦٧٤/٥، معجم البلدان: ٤٨٦/٥، اللباب ٤٠٤/٣، المطرب: ١٣٠، التكملة: ١٩٥/١، المغرب ٤٠٠/١، عنوان المرقصات والمطربات: ٥٩، رايات المبرزين: ٢٢٩، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، مسالك الأبصار ٤١/١٧، المشتبه: ٦٦٤/٢، الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، فوات الوفيات: ١٦١/١، مختارات ابن عزيم: ٥٩، توضيح المشتبه ١٩٩/٩، تبصير المنتبه: ١٥٠٣/٤، وثمة وهم في كتاب حلبة الكميت إذ ذكر مرة أولى باسم ابن أويس: ٨٨، وثانية باسم ابن إدريس اليماني: ٢٤٢.

(٢) البديع في وصف الربيع (تح. د. عسيلان): ٩٧– ١٠١– ١١١– ١١٥– ١٤٠، الذخيرة ٣٣٦/١/٣، اقتباس الأنوار: ٨٢، اختصاره: ١٩٢، فهرسة ابن خير: ٤٠٦، بدائع البدائه: ٨٤، الحلة السيراء ١٨٤/٢، نفح الطيب ٧٥/٤، ٦٠١/٥.

(٣) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣، التكملة: ١٩٥/١، المغرب ٤٠٠/١، مسالك الأبصار ٤١/١٧، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، فوات الوفيات ١٦١/١، نفح الطيب ٧٥/٤.

(٤) الإكمال ٤٧٥/١، الذخيرة ٣٣٦/١/٣، اقتباس الأنوار ٨٢ –٩٤، اختصاره: ١٩٠– ١٩٨، الأنساب ٦٧٤/٥، اللباب ٤٠٤/٣، إرشاد الأريب ٤٨٦/٥– مسالك الأبصار: ٤١/١٧.

(٥) اقتباس الأنوار: ٨٢–٩٤، اختصاره: ١٩٠–١٩٨، التكملة: ١٩٥/١، الوافي بالوفيات: ٣٢٧/٨، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، وفيه تحريف (المعروف بالشيني).

جدّه هو سام[١]، وينفرد ابن الأبّار(ت ٦٥٨هـ(في تكملته لكتاب الصلة بالقول بأن اسم جده هو سالم[٢]، ويخالف الكتبي (ت ٧٦٤هـ(جميع المترجمين فيجعل أباه عبد اللّه وجدَّه اليمان أي «إدريس بن عبد اللّه بن اليمان»[٣].

أما نسبته **العبدريّ** فهي نسبة إلى عبد الدار بن قصي الذين كانت لهم حجابة الكعبة المشرّفة[٤].

وأما نسبته **اليابسي**– وهي الأشهر–، ونسبته **الشبيني** فيوضِّح الحميدي (ت ٤٨٨هـ(ذلك ويقول: «ذكره أبو عامر ابن شهيد فنسبه إلى بلده فقال اليابسي، وينسبه آخرون فيقولون: الشبيني بياء المعجمة لأن الغالب على بلده شجرة الشبين وهي شجرة الصنوبر»[٥].

ويقول أبو محمد الرشاطي (ت ٥٤٢هـ(: «الشبيني: هو أبو علي إدريس ابن اليمان الأندلسي اليابسي الشبيني منسوب إلى شجرة الشبين وهو الصنوبر كثير ببابسة ينسب إليها»[٦].

ويذكر ابن الأبّار أنه «يعرف بالشبيني وهو بالعجمية[٧]، شجر الصنوبر»[٨].

وكنيته هي **أبو علي** بإجماع كل من ترجم له إلا أنه لابدّ من الإشارة إلى أن ابن بسّام (ت ٥٤٢هـ(صاحب أطول ترجمة لابن اليمان وأهمها وأوسعها والذي

(١) الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٢) التكملة ١٩٥/١.

(٣) فوات الوفيات: ١٦١/١.

(٤) توضيح المشتبه: ١١٠/٦.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠، وانظر الإكمال: ٤٧٦/١.

(٦) اقتباس الأنوار: ٨٢، واختصاره: ١٩٠.

(٧) والشبين – بالإسبانية –: Sabina، وبالفرنسية: Sapin.

(٨) التكملة: ١٩٥/١.

ذكره في أغلب أجزاء سفره الكبير «**الذخيرة في محاسن أهل هذه الجزيرة**» قد ذكره في سرد أسماء الأدباء والشعراء الذين سيترجم لهم في أول الكتاب بكنية أبي عبد اللّه[١]، ثم ذكره حيثما ذكره بكنيته أبي علي[٢].

ويستقصي ابن بسام أصله فيقول: «وأخبرت أن أصله من قسطلة الغرب من عمل شنت مرية ابن هارون»[٣]، وبناء على ذلك وضعه ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ) في كتابه المغرب في حلى المغرب في قسم «كتاب المملكة الشلبية وهو كتاب: الكواكب المطلّة في حلى مدينة قسطلّة، تعرف بقسطلّة الغرب»[٤].

بلده ومولده:

رأينا من قبل أن ابن شهيد (ت ٤٢٦هـ) ذكره في بعض كتبه التي لم تصل إلينا «فنسبه إلى بلده فقال: اليابسي»[٥]، وثمّة إشارة يسيرة في تعليق ابن بسام على قول حاجب الموفق مجاهد: «إن رائحة الشبين على شعرك، تعريضًا له **ببابسة – جزيرة في البحر كان منها** أكثر ثمرها الشبين»[٦]. ويذكر كل من ابن دحية(ت ٦٣٣هـ) وابن الأبّار أنه «من أهل جزيرة يابسة»[٧]. وهذه الشواهد تؤكّد أن موطنه الأصيل هو جزيرة يابسة، وتشير إلى أن مولده كان فيها.

وقد ذكر ذلك د. عصام سيسالم في دراسته المميَّزة عن جزائر الأندلس المنسية, قال: «اشتهر في جزر[٨] البليار في عهد المملكة المجاهدية العامرية عدد من الشعراء

(١) الذخيرة: ٢٨/١/١ ولم يتنبه لذلك محقِّقه الفاضل الدكتور إحسان عباس رحمه اللّه تعالى.

(٢) الذخيرة: ١٠٦/١/٢، ٣٣٦/١/٣.

(٣) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

(٤) المغرب: ٤٠٠/١.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٦) الذخيرة: ٣٤٠/١/٣.

(٧) المطرب: ١٣٠، التكملة ١٩٥/١.

(٨) الصواب: جزائر، لأن جمع جزيرة جزائر.

والأدباء من أصلاء أهلها والوافدين إليها وكان من أشهرهم: أبو علي إدريس بن اليمان العبدري الشبيني اليابسي من جزيرة يابسة ثالثة جزر البلیار»[١].

ويرى ابن سعيد بأن اليابسي هي نسبة إلى جزيرة يابسة لأنه «أطال الإقامة في جزيرة يابسة حتى عرف منها»[٢].

بيد أن أحداث حياته وتوزع ممدوحيه في أنحاء متفرقة من الأندلس يدل على عكس ذلك كما سوف نرى، ويُرجّح أنه ولد في جزيرته الصغيرة يابسة وفيها ترعرع ثم خرج هذا الولد الصغير منها إلى شبه جزيرة الأندلس للبحث عن الجواء العلمية للوصول إلى حياة كريمة.

ملامح حياته:

انتقل إدريس بن اليمان إلى أقرب مدينة أندلسية من جزيرته يابسة وهي مدينة دانية الواقعة على الساحل الجنوبي الشرقي من الأندلس ونشأ في تلك المدينة ودرس وتعلَّم ونبغ فيها ولمع نجمه وارتفع ذكره وسار شعره في الآفاق قال ابن بسّام: «وبدانية قرأ وبها نشأ، ومنها انبعث انبعاث السيل وأدرك إدراك الليل، حتى تضاءلت الهضاب عن قدره، وماجت الأرض ببحره وصار شعره سمر النادي وتعلّة الحادي وتمثّل الحاضر والبادي»[٣].

(١) جزر الأندلس المنسيّة: ٥٣١. وانظر تعريف يابسة في : معجم البلدان ٤٨٦/٥، والروض المعطار:٦١٦.

(٢) المغرب: ٤٠٠/١.

(٣) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

أما على من درس وقرأ، فلا نكاد نعرف من أساتذته إلاّ صاعدًا[١]، اللغوي (ت ٤١٧هـ(فقد ذكر غير واحد من المترجمين له أن ابن اليمان «روى عن أبي العلاء صاعد اللغوي»[٢].

ويوضِّح ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ(بعض هذه الرواية عن صاعد فيقول: «قال أبو بكر المصحفي: وفي شعر ابن حجاج[٣]، المذكور مجون كثيرة، وكان يسمعه معنا عليه [أي على صاعد] شيخ من بني مفرج أقارب القاضي ابن مفرج وإدريس بن اليماني الشاعر»[٤]، ونظن أن مثل هذا الديوان لا يروى للشداة الصغار، ثم إن إدريس قد سمعه على صاعد في سرقسطة بين سنتي (٤١٢-٤١٤) مع شيخ من بني مفرج، وليس من المعهود أن يسمع الصغير مع الكبير لذلك فإن المرجح أن سماعه على صاعد كان في سنّ متقدمة، ولعل ذلك في أثناء قدومه على سرقسطة لمديح صاحبها ولا يكون هذا في زمن التحصيل والطلب.

ومع ذلك فقد كان يوصف إدريس بأنه «شاعر جليل عالم»[٥]، والصفة الأخيرة تشي بأنه نهل من العلم وعلّ حتى امتلأ وطابه علمًا وفهمًا.

(١) انظر ترجمته الموسَّعة في كتاب: صاعد البغدادي حياته وآثاره – د. عبد الوهّاب التازي سعود وقد جعله مقدمة لتحقيق كتاب الفصوص لصاعد – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٩٩٣.

(٢) التكملة: ١٩٥/١، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، فوات الوفيات: ١٦١/١.

(٣) شاعر عباسي مشهور (ت ٣٩١ هـ(، يتيمة الدهر ٢١١/٢، تاريخ بغداد ١٤/٨، سير أعلام النبلاء ٥٩/١٧، وفيات الأعيان ١٥٥/١، البداية والنهاية ٣٢٩/١١، الكامل في التاريخ ٥٨/٩، الأعلام ٢٣١/٢، تاريخ الأدب العربي (د. فروخ): ٥٧٤/٢.

(٤) فهرسة ابن خير: ٤٠٦.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠, و انظر المطرب : ١٣٠

وبعد أن نضجت مواهب إدريس بن اليمان الشعرية، وصقلت علومه واشتهر ذكره، وذاع شعره؛ انتقل إلى مرحلة انتجاع ملوك الطوائف في الأندلس للتكسب بشعره، وأخذ يتنقل بين الملوك لأن عقد الخلافة قد انفرط وتوزَّعت حبّاته في مختلف أرجاء الأندلس – كما هو معروف – ويُخبر الحميدي بأن إدريس بن اليمان كان «ينتجع الملوك فينفق عليهم»[١].

ويقول ابن الأبَّار: «وتجوّل في بلاد الأندلس»[٢].

ويذكر ابن سعيد عن ابن اليمان أنه «له أمداح كثيرة في ملوك الطوائف»[٣].

ويُشير ابن اليمان في بعض أمداحه إلى كثرة تطوافه على ملوك الطوائف, كما في مديحه لمجاهد العامري.

ويفصّل ابن بسام القول في هذا الشطر المهم من حياته، وهو تجواله بين ملوك الطوائف وفهمه لأهوائهم، وتحقيقه لرغباتهم في الشعر، من غير إرخاص لشعره، إذ كان يشترط أن يأخذ من ممدوحه مئة دينار قبل إنشاده القصيدة!!، كما يُورد ابن بسام عددًا مهمًا من قصائده المدحية: «وطفق يتردد على ملوك الطوائف بالأندلس تردُّد الكاس على الشَّرْب ويجري في أهوائهم جري الماء في الغصن الرطب، وكان كلما قال قصيدة لم يضرب عليها حجابًا ولا ضمّنها كتابًا حتى يأخذ بها مئة دينار». و ينقل قول إدريس لمن يسأله قصيدة مدحية: «إشارتي مفهومة، وبنات صدري كريمة، فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مَهرها»[٤].

ويلمّح ابن اليمان في بعض قصائده المدحية إلى طلب العطاء بطريقة ذكية وينتقل انتقالاً بارعًا من الغزل إلى المديح فيقول:

(١) جذوة المقتبس: ١٦٠.
(٢) التكملة ١/١٩٥.
(٣) المغرب ١/٤٠٠.
(٤) الذخيرة: ٣/١/٣٣٦-٣٣٧.

فريد جمال تم لي توأم الهوى ... به ولكل العاشقين فراداه

تكامل فيه السول حتى كأنه ... ندى ابن أبي موسى إذا الشعر ناجاه

لقد كان معنى الجود عُمِّي فانبرى ... له ابن أبي موسى ففك معمّاه

هصرت به الدنيا فمالت رطيبة ... عليّ ميودًا تحت أوراق نعماه

فمن يك عني سائلاً فأنا الذي ... تمنى فأفضى للذي قد تمنّاه

وما ضحك النوّار من شق جيبه ... ولكن أياديه التي أضحكت فاه

وما فتحت أيدي الحيا زهرةَ الربا ... كما فتحت روض القريض عطاياه[1]

وقد تُفهم إشارته تلك وتفلح، وقد لا تُفهم ولا تفلح عند بعض الممدوحين كما في الخبر الذي أشار إليه ابن شهيد نفسه، وعلّق عليه ابن ظافر (ت ٦١٣هـ)، فقد وفد ابن اليمان على الوزير أبي جعفر أحمد بن عبّاس (ت ٤٢٩هـ) بالمرية فمدحه فلم يُلْقِ إليه بالاً، ولم يعطه شيئًا فهجاه وأفحش: «قال علي بن ظافر: وأحسب أن الذي هجاه به إدريس وأفحش فيه قوله – وقد كان وفد عليه بالمريّة وامتدحه بقصيدة فلم يحفل به فأنفذ إليه عند خروجه منها، يقول:

إيهٍ أبا جعفر المرجّى ... ما بال طيري خلاف طيرك

أهديت رقراقة المعاني ... لم أهد أمثالها لغيرك

فلم تَمِرْها ولم تَمِرْني ... ولم تمرها بفضل ميرك

فصار شعري لديك بكرًا ... . ك[2]

(١) الذخيرة: ٣/١/٣٥٣.

(٢) بدائع البدائه: ٨٤.

ويبدو أن الإخفاق كان كثيرًا في ذلك الزمن الصعب، وأن كثيرًا من الوعود لا ينجزها قاطعوها ولا يفون بها، فنرى ابن اليمان يراجع بعض أصحاب هذه الوعود الذين أبطؤوا بالوفاء بها، فقد ذكر الحميدي عن محمد بن غالب «قال: أنشدني أبو علي إدريس بن اليمان لنفسه إلى صديق له وعده بوعد فأبطأ به:

عدات الحر خيل في رهان تكحّل بالمنى حدق الأماني
وكانت منك لي عدة أطلّت كما غنّت صبوح في عنان
وقد حرنت فعاودها بسوط من الإنجاز عن ذاك الحِران
ولا يكُ جيد جودك جذعَ نخل وطرفُك ينثني كالخيزران[1]

ممدوحوه:

١– أبو الجيوش مجاهد بن يوسف بن علي العامري[2] (حكم ٤٠٠–٤٣٦هـ(ويكنّى أيضًا بأبي الحسن ويلقّب بالموفّق.

وهو من ملوك الطوائف حكم دانية وجزائر الأندلس الشرقية.

وثمة إشارة يسيرة ذكرها ابن سعيد في ترجمة مجاهد تؤكِّد وفود ابن اليمان عليه إذ يقول: «وقد وفد عليه أفراد الشعراء كإدريس بن اليمان»[3].

وثمة خبر واحد يتحدث عن تعريج ابن اليماني عليه أورده ابن بسام في ذخيرته ونصّه: «ودخل إدريس بن اليماني على الموفّق أبي الجيش فأنشده:

ولربّ ليل قد طرقت وهمتي أسري بها إذ ليس يسري كوكبُ

(١) جذوة المقتبس: ٧٦.

(٢) انظر جذوة المقتبس: ٣٥٢، الذخيرة ٢٢/١/٣، المعجب: ٧٤، المغرب ٤٠١/٢، البيان المغرب ١٥٥/٣، أعمال الأعلام: ٢١٧، دول الطوائف: ١٨٨، جزر الأندلس المنسية: ١٣٦، الأعلام ٢٧٨/٥.

(٣) المغرب: ٤٠١/٢.

في معشر شم الأنوف كأنهم سيدان رمل أو أسود دُرّب
لبسوا دياجير الدجى إذ أسأدوا وتقنعوا بسنا الضحى إذ أوّبوا
وسروا فمغرب كلّ أرض مشرق لهم ومشرق كل أرض مغرب

.....

وكأن قرن الشمس وجه مجاهد لمّا أنار سناه كادت تغربُ

وهو في كل ذلك يعبث بيديه في قليل شعر عارضته، استثقالاً للعارفة، وبخلاً بالجائزة، وجهلاً بالفائدة، فلما أملقه الأمر، وأعوزه الصبر، غمز حاجبه بشطر حاجبه، فاختطف القرطاس من يده وقال وقد سدَّ خياشيمه: إن رائحة الشبين على شعرك، تعريضًا له بيابسة – جزيرة في البحر كان منها أكثر ثمرها الشبين – فخجل لمقامه وتعثَّر في ذيل كلامه، فلما وثبت إليه نفسه، وراجعه حسّه، قال: أيها الأمير: إن كنت أسأت في مدحك، فأحسن في منحك، أو قصّرت في وصفك، فأطلْ في عرفك.

وهذا الأمر لم يكن مصادفة أو خاصًّا بابن اليمان وحده، ولكنه كان دأبًا في مجاهد وسلوكًا معيبًا فيه، فقد نقل ابن بسّام عن ابن حيّان قوله عن مجاهد: «على أنه كان – فيما بلغني – مع أدبه من أزهد الناس في الشعر وأحرمهم لأهله وأنكرهم على منشده، لا يزال يتعقَّبه كلمة كلمة كاشفًا لما زاغ فيه من لفظة وسرقة، فلا تسلم على نقده قافية، ثم لا يفوز المتخلّص من مضماره على الجهد لديه بطائل، ولا يحظى منه بنائل، فأقصر الشعراء لذلك مدحه، وخلا الشعر من ذكره»[1].

(١) الذخيرة: ٣/١/٢٣، ونقل النص صاحب البيان المغرب: ٣/١٥٦.

٢– أبو زيد عبد العزيز بن محمد بن أيّوب البكري[١] (حكم ٤٠٣–٤٤٣هـ) يلقَّب بعزّ الدولة.

أحد ملوك الطوائف وصاحب مدينة ولبة (أو أونبه)، وجزيرة شلطيش. أثنى عليه ابن الأبّار وأورد شطرًا من قصيدة لابن اليمان في مدحه، قال: «وكان جوادًا ممدّحًا، وفيه يقول أبو علي إدريس بن اليماني من قصيدة فريدة – وكان إدريس هذا مقدّمًا من فحول شعراء الأندلس...

أعيدي سقى مثواك ألعس أشنب إذا مرضت أرضُ الأحبّة جادَها
يضوع بواديك الأغن أغانيا متى ما يعدها لم تملّ معادها
إذا ما أجادت كفّه حول روضة حسبنا جدا عبد العزيز أجادها

ثم تصرّف في المديح تصرّفه في النسيب وأحسن وأبدع»[٢].

٣– ابن واجب[٣] **وزير المنذر بن يحيى التجيبي (حكم ٤٠٨–٤١٤هـ)**

لا نعرف عنه شيئًا أكثر من أنه أحد جلّة كتّاب المنذر ووزرائه الذي حكم في سرقسطة. وأن ابن اليمان مدحه بقصيدة كافيّة؛ فقد أورد ابن بسام قصيدة له وذكر أنها في ابن واجب ومطلعها:

وادي الأراك أطلت شكوى الشاكي بشميم كل بشامة وأراكِ[٤]

ولكنه انتقى منها أربعة أبيات أخرى في وصف حمامة فقط، ولم يتعرض

(١) الذخيرة ٢/١/٢٣٣، الحلة السيراء ١٨٤/٢ (وثمة خلاف)، المغرب ٣٤٧/١، البيان المغرب ٢٤٠/٣، أعمال الأعلام: ٢١٠، دول الطوائف: ٤٣، الأعلام: ٢٥/٤، معجم ما استعجم: المقدمة (ص)، سمط اللآلئ شرح أمالي القالي: المقدمة (ز – ح).

(٢) الحلّة السيراء: ١٨٥/٢.

(٣) الذخيرة: ١/١/١٨٣، البيان المغرب ١٧٧/٣، الإحاطة ٢٨٦/٣، دول الطوائف: ٢٦٨.

(٤) الذخيرة: ٣/١/٣٤٤–٣٤٥.

للغرض الرئيس وهو مدح الوزير الكاتب ابن واجب.

٤– ابن بقنّة[١] وزير المعتلي يحيى بن علي بن حمّود، أحمد بن أبي موسى ابن بقنّة البربري (ت ٤٣٣هـ). وزير المعتلي وكاتبه ومدبِّر دولته.

وقد أورد ابن بسّام شطرًا من قصيدة لابن اليمان يمدح فيها «ابن بقنّة»[٢]، وزير يحيى بن حمود أوّلها:

دعاه الهوى من ذي الأراك فلبّاه وغنّاه أيكيُّ الحمام فأبكاه[٣]

وفيها يذكر اسم الوزير صراحة غير مرة:

تكامل فيه السول حتى كأنه ندى ابن أبي موسى إذا الشعر ناجاه

لقد كان معنى الجود عمّيَ فانبرى له ابن أبي موسى ففكّ معمّاه[٤]

٥– ابن حمّود

ذكر ابن بسام أن عبّادًا المعتضد سأله أن «يمدحه بقصيدة يعارض السينية التي مدح بها آل حمّود»[٥]، وفي بعض نسخ الذخيرة «السينية في ابن حمّود»، فمن ابن حمّود هذا، وما هي هذه السينية الفائقة التي طلب منه ابن عبّاد معارضتها.

ولعل المقصود هو: **يحيى بن علي بن حمّود العلوي الحسني**[٦]

(١) جذوة المقتبس: ٣٠، الذخيرة ٥٥٢/١/١، ٦٤٩/٢/١، ٣٥٢/١/٣، المغرب ٢٠٦/٢، البيان المغرب ١٤٣/٣، ٢١٧، أعمال الأعلام ١٣٦–١٤١، الخلافة الأموية والدولة العامرية ٦٧١/٢/١.

(٢) في الأصل ابن مقنة، وهو وهم من الأستاذ الفاضل العالم محقِّق الذخيرة، وذكره أيضًا باسم ابن أبي موسى في مواضع أخر لم يعلم أن الاسمين لعَلَم واحد.

(٣) الذخيرة ٣٥٢/١/٣.

(٤) الذخيرة ٣٥٣/١/٣.

(٥) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

(٦) جذوة المقتبس: ٢٤، المعجب: ٥٢–٥٤، المغرب ٢٩٩/١، البيان المغرب ١٣١/٣، أعمال الأعلام: ١٣٢، الخلافة الأموية والدولة العامرية: ٦٧٠/٢/١، الأعلام: ٨/

(٣٨٥-٤٢٧هـ)، أحد ملوك دولة بني حمود من عقب الأدارسة.

وثمّة قصيدة لاميّة أوردها ابن بسام في مختاراته لابن اليمان ولم يحدِّد لمن قيلت ولكن بعض أبياتها تدل على أنها قيلت في أحد آل حمّود الذين يرجعون بنسبهم إلى عليّ بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه، وهي:

هذا ابن خاضب ذي الفقار بجانبي وادي حنين والصفوف حوافلُ
وبخيبر والحرب بارق عارضٍ وبنات أعوج ما شحته زائل
دفع الرسولُ إليه رايته وقد طمحت عيون نحوه وأنامل[1]

٦- أبو جعفر[2] **بن عبّاس وزير الفتى زهير الصقلبي العامري** (ت٤٢٩هـ)

أبو جعفر أحمد بن عبّاس بن أبي زكرياء القرطبي (ت ٤٢٩هـ) وزير كاتب من أعلام كتّاب عصر الفتنة.

وقد سبق[3]، أن أشرنا إلى أن ابن ظافر قد أكّد أن ابن اليمان «قد كان وفد عليه بالمرية وامتدحه بقصيدة فلم يحفل به»[4]، وبعد أن خرج ابن اليمان من المرية أوصل إليه مقطّعة هجاه فيها وأفحش.

١٥٧، وانظر كتاب: «الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء» – لويس سيكو دي لوثينا: ٢٥ وما بعدها.

(١) الذخيرة ٣/١/٣٥٧.

(٢) الذخيرة ١/٢/٦٤٥، ورسائله في ٣/١/٢٢٩ ومواضع متعددة، المغرب ٢/٢٠٥، البيان المغرب ٢/١٦٩، الإحاطة ١/٢٥٩، أعمال الأعلام: ٢١٦، الخلافة الأموية والدولة العامرية ١/٢/٦٧٢، دول الطوائف: ١٢٩- ١٣٠- ٢٢١، الأعلام ١/١٤٢ (ووهم في سنة وفاته إذ جعلها ٥٣٠هـ).

(٣) انظر الصفحة (٨٣٦).

(٤) بدائع البدائه: ٨٤.

٧– أبو مناد باديس[١] بن حبّوس بن ماكس بن زيري بن مناد الصنهاجي (حكم ٤٢٨–٤٦٥هـ). أعظم ملوك البربر في عصر ملوك الطوائف وأقواهم جانبًا. وقد أورد ابن بسّام قطعة لابن اليمان في مديح باديس منها:

القائـد الجـرد العتـاق كأنهـا لجـج زواخـر أو عـوارض لمـعُ
متوقّـد فـي الحادثـات إذا دجـت فكأنـه فيهـا شـهاب يـسطعُ
علـم هـو القمـر المبـاهي طالعًـا صـنهاجة وهـمُ النجـوم الطلّـعُ[٢]

٨– أبو عمرو المعتضد[٣] عبّاد بن محمد بن إسماعيل الإشبيلي (حكم ٤٣٣–٤٦١هـ)

أحد كبار ملوك الطوائف وصاحب إشبيلية وما حولها.

وقد مرّ ابن اليمان بالمعتضد بإشبيلية و«سأله عبّاد في بعض رحله إليه، على كثرة بوائقه وشكاسة أخلاقه، أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها آل حمود، فقال له: إشارتي مفهومة وبنات صدري كريمة فمَن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها»[٤].

وأغلب الظن أن عبادًا قد دفع مهر قصيدة ابن اليمان وأن إدريس بن اليمان قد قال فيه قصيدة عارض بها قصيدته في آل حمود، ولكن القصيدتين كلتيهما قد ضاعتا فيما ضاع من شعر الرجل خاصة، ومن الشعر الأندلسي عامة.

---

(١) المغرب ١٠٧/٢، البيان المغرب ٢٦٢/٣، الإحاطة ٤٣٥/١، أعمال الأعلام: ٢٣٠، دول الطوائف: ١٢٦، الأعلام: ٤٠/٢.

(٢) الذخيرة ٣٥٥/١/٣.

(٣) مطمح الأنفس: ١٧٢، الذخيرة ٢٤/١/٢، البيان المغرب ٢٠٤/٣، أعمال الأعلام: ١٥٥، دول الطوائف: ٣٩، الأعلام: ٢٥٧/٣.

(٤) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

٩– أبو زكريا[١] المأمون يحيى بن إسماعيل ابن ذي النون البربري (حكم ٤٣٥–٤٦٧هـ(ويكنَّى كذلك بأبي الحسن. أحد كبار ملوك الطوائف وأعظم بني ذي النون وأشهرهم.

وقد أورد ابن بسّام لابن اليمان قصيدة ميمية طويلة في مدح المأمون ابن ذي النون ذكر اسمه وكنيته فيها غير مرة:

ولكنّ هذا الزمان استقام ولولا ابن ذي النون لم يستقمْ
فقد سكنت عين دهمائه كما سكن الفعل جزمًا بلمْ
رعايا الملوك قطا البيد لكن رعية يحيى حمام الحرم

....

أرى العالم اعتدلت حاله فلا ما يعاب ولا ما يذم
وكان بحال انتقاص فتمّ ولكنه بابن ذي النون تم
همام له شيمة كالشمول تميت الهموم وتحيي الهمم
أبا الحسن الحسن المكتني بما هو نعت له لا جرم[٢]

١٠– إقبال الدولة[٣] علي بن مجاهد العامري (حكم ٤٣٦–٤٦٨هـ(أحد ملوك الطوائف حكم دانية والجزائر الشرقية. وقد أورد ابن بسّام لابن اليمان قصيدة حائية شهيرة نظمها في إقبال الدولة بن مجاهد بدانية وفيها

(١) الذخيرة ٢٦٨/١/٢، المغرب ١٢/٢، البيان المغرب ٢٧٧/٣، أعمال الأعلام: ١٧٧، دول الطوائف: ٩٧، الأعلام ١٣٨/٨.

(٢) الذخيرة: ٣٤٢/١/٣–٣٤٣.

(٣) المعجب: ٧٤، المغرب ٤٠١/٢، البيان المغرب ١٥٧/٣، أعمال الأعلام: ٢٢١، دول الطوائف ٢٠٠/١/٢، جزر الأندلس المنسية: ١٦٤، الأعلام ٣٢٢/٤.

يذكر اسمه واسم أبيه:

بعلـــي بـــن مجاهـــد أوردتـــه روض المـــديح وموســـم المـــدّاحِ

ثهلان في عقد الحبا ولدى الوغى غـــصن يَـــراحُ إلـــى نـــسيم ريـــاح

فـــالبر بحـــر مـــن مدائحـــه التـــي تربـــي علـــى الطيّـــار والـــسبّاح[١]

أصدقاؤه:

١– أبو الوليد[٢] **إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري الإشبيلي** (ت نحو ٤٤٠هـ(

لقد ذكر أبو الوليد الحميري في كتابه البديع في فصل الربيع إدريس بن اليمان مرارًا وانتقى له بعض المقطوعات في وصف الأزهار، ومما يدل على معرفته الأكيدة به، وصداقته له أنه كان يأخذ أكثر ما اختار له عن الشاعر نفسه فنجده يقول في مقدمات بعض ما اختاره له: «**وأنشدني** لنفسه فيه أبو علي إدريس بن اليماني»[٣]، أو يقول: «وله أيضًا فيه تشبيه عجيب **أنشدنيه** وهو»[٤].

٢– أبو جعفر أحمد بن محمد ابن الأبّار[٥] **الخولاني الإشبيلي** (ت ٤٣٣هـ(

(١) الذخيرة ٣/١/٣٤٤.

(٢) كتب عنه د. عبد اللّه عسيلان دراسة مطوَّلة في مقدمة تحقيق كتابه البديع في وصف الربيع وحقَّق الكتاب أيضًا وكتب عنه دراسة موجزة د. علي كردي، وكذلك المستشرق هنري بيرس. وانظر كذلك مصادره في تاريخ الأدب العربي (د. فروخ) ٤/٤٩٤.

(٣) البديع: ٩٧. وانظر: ١٠٨–١١٢.

(٤) البديع: ١١٥.

(٥) انظر: البديع (مواضع كثيرة)، جذوة المقتبس: ١٠٧، الذخيرة ٢/١/١٣٥، المغرب ١/٢٦٤، وفيات الأعيان ١/١٤١،الوافي :٨/١٣٧, نفح الطيب ٣/٤٧٧، تاريخ الأدب العربي (فروخ) ٤/٤٧٢، الأعلام ١/٢١٣.

٣– أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة[1] (ت في عهد المعتضد عباد).

نقل ابن بسّام من كتاب «حديقة الارتياح في صفة حقيقة الراح» للوزير ابن مسلمة ونصَّ على ذلك فقال: «نقلت من خطه، قال:

كتبت يومًا بهذه الأبيات إلى الأديبين أبي علي إدريس وأبي جعفر بن الأبَّار مستدعيًا لهما:

أيا شقيقي إخاء ... ويا قسيمي صفاءِ
ومن هما في ذوي الفهـ ... ـم جوهر الأدباء
تفضلا وأجيبا ... إلى نديّ نداء
لتأنسا بحديث ... وقهوة وغناء

قال، فأجابني إدريس:

يا صنو ماء السماء ... في رقة وصفاء
ويا سراج ضياء ... يجلو دجى الظلماء
بهرت سيما ذُكاء ... في بهجة وذكاء
وحزت في العلياء ... قوادم الجوزاء
يا حاتم الكرماء ... وأحمد الشعراء
بادهتنا بلآلٍ ... سواطع اللألاء
قريض حسن كدرّ ... على طلى الحسناء
يقود في كلّ معنى ... معنى الغنى والغناء

(١) انظر البديع (مواضع كثيرة)، جذوة المقتبس: ٦١، مطمح الأنفس: ٢٠٣ – ٢٠٤، الذخيرة ٢/١/١٠٥، بغية الملتمس: ٨٠، المغرب: ١/٩٦.

وقـــد أجبنـــا إلـــى مـــا دعـــــوت مـــــن آلاء

[لا زال] نجمـــــك أســـــمى مـن نجـم كـل سـماء»[١].

ولكن ابن بسّام لم يورد ردّ ابن الأبّار.

وأشار ابن سعيد في ترجمة ابن مسلمة إلى ذلك فقال: «وبينه وبين إدريس بن اليمان وابن الأبّار مراسلات»[٢].

وفي شعره المتبقي مقطوعة في وصف المجالس الإخوانية في مجالي الطبيعة الساحرة يقول فيها:

و إخوان صدق قد أناخوا بروضة ولـيس لهـم إلا النبـات فِـراشُ

فخلـتهم والنـور يـسقط فـوقهم مـصابيح تهـوي نحـوهن فَـراش[٣]

ويتبدى حرصه على قيم الصدق والمحبة في إضافة لفظة الفتيان إلى الصدق، و في هذه الصورة.

معاصروه:

من معاصريه – زيادة على ممدوحيه و أستاذه وأصدقائه – الذين ذكروا في أخبار معه من دون أن نعرف مدى صلتهم به:

١– أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد[٤] **الأشجعي** (٣٨٢–٤٢٦هـ(

(١) الذخيرة: ٢/١/١٠٦–١٠٧.

(٢) المغرب: ١/٩٧.

(٣) الذخيرة ٣/٢/٨٨٧–٨٨٨ , و انظر: الوافي ٨/٣٢٧، فوات الوفيات ١/١٦٢.

(٤) جمع ديوانه وحقَّقه وصدره بدراسة كل من: شارل بلاّ – دار المكشوف – بيروت – ١٩٦٣. ويعقوب زكي – دار الكاتب العربي – القاهرة – د.ت، وحقَّق رسالة التوابع

فقد عاش ابن شهيد في العصر نفسه الذي عاش فيه ابن اليمان، وتوفي قبله وأورد له شيئًا من المختارات في بعض كتبه التي لم تصل إلينا، ونقل عنها بعض المؤلِّفين كالحميدي الذي أشار مرتين إلى ذلك في أثناء ترجمته لابن اليمان إذ يقول: «وذكره أبو عامر بن شهيد فنسبه إلى بلده»[(١)]، ويقول: «واستحسن له أبو عامر بن شهيد في التشبيه قوله:»[(٢)]

وتتبدَّى كذلك معرفته به في القصة التي حكاها ابن شهيد عن نفسه وأوردها ابن بسّام في ذخيرته، حدّث ابن شهيد عن نفسه «قال: لما قدم زهير الصقلبي فتى بني عامر حضرة قرطبة من المرّية وجّه أبو جعفر بن عباس وزيره عن لمة من أصحابنا منهم: ابن برد وأبوبكر المرواني وابن الحنّاط والطبني» وطلب الوزير منهم إجازة شطر من بيت شعري فقام ابن شهيد وأكمل ذلك في مقطوعة قافيّة ثم يكمل ابن شهيد: «ثم قمت عنهم فلم ألبث أن وردوا عليّ وأخبروا أن أبا جعفر لم يرض ما جئنا به من البديهة وسألوني أن أحمل مكاوي الكلام على حتاره، وذكروا أن **إدريس** هجاه فأفحش فلم أستحسن الإفحاش فقلت فيه معرضًا إذ التعريض من محاسن القول.»[(٣)].

ومن الخبر السابق يستنتج بأنه عاصر عددًا من الأشخاص –كذلك – وهم:

والزوابع – بطرس البستاني – دار صادر – بيروت – ١٩٨٠، وثمة دراسات كثيرة عن أدبه ونقده.

(١) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٢) جذوة المقتبس: ١٦١.

(٣) الذخيرة ١/١/٣٠٧.

٢- **أبو عبد اللّه محمد بن سليمان بن الحنّاط**[١] **الرعيني الأعمى** (ت ٤٣٧هـ).

٣- **أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن برد المعروف بابن برد الأصغر**[٢] (ت نحو ٤٥٠هـ).

٤- **أبو مروان عبد الملك بن زيادة اللّه بن علي الطبني**[٣] (ت ٤٥٧هـ).

٥- **أبو بكر المرواني**[٤].

٦- **ميمون بن يوسف بن درّي**[٥].

قال ابن بسّام: وحدّث ميمون بن يوسف بن درّي، قال: اعتمدني أبو علي إدريس بن اليماني فجاذبني في ذكر البديع من القول فأنشدني هذه القطعة في صفة الثريا، فعمدت بعدُ إلى سبعة مثاقيل صحاحًا فطبعت عليها وكتبت معها:

---

(١) البديع: ٢٢، جذوة المقتبس: ٥٣، بغية الملتمس: ٦٧، الذخيرة ٤٣٧/١/١، التكملة ٣٨٧/١، الذيل التكملة ٢٢١/٦، المغرب ١٢١/١، نفح الطيب ٤٨٣/١، تاريخ الأدب العربي (د.فروخ): ٤٨٢/٤، الأعلام: ١٤٩/٦.

(٢) البديع (مواضع متعددة)، جذوة المقتبس: ١٠٧، بغية الملتمس: ١٥٣، مطمح الأنفس: ٢٠٧، الذخيرة ٤٨٦/١/١، المطرب: ١٢٧، المغرب ٨٦/١، نفح الطيب ٥٤٦/٣، تاريخ الأدب العربي (د. فروخ) ٥١٠/٤، الأعلام: ٢١٣/١.

(٣) جذوة المقتبس: ٢٦٥، بغية الملتمس: ٣٦٦، مطمح الأنفس: ٥٠، الذخيرة ٥٣٥/١/١، الصلة: ٣٤٣، المطرب: ٢١٥، المغرب ٩٢/١، تاريخ الأدب العربي (د.فروخ) ٥٥٩/٤، الأعلام: ١٥٨/٤.

(٤) لم يذكر سوى هذه المرة الوحيدة في الذخيرة، وهو من أهل الأدب روى عنه الحميدي في جذوته: ٣٢٨، وانظر البغية: ٤٦٨، ونفح الطيب ٣٣٠/٣.

(٥) ذكره ابن بسّام في ترجمة ابن الحنّاط ٤٣٨/١/١، وفي ترجمة المنفتل ٧٥٧/٢/١ ونعته بالقائد بجيان، نفح الطيب ٢٦٤/٣.

وجــه الثريــا إن شــيت تعرفــه فاسـلك مـن القـول نحـو موعبـه

نجمـك فـي البعـد ظـل مـشبهها وشــبهها شــبه مــا بعثــتُ بــه[١]

٧- أبو عثمان خلف بن هارون القطيني[٢].

قال الحميدي: «وأنشدني عنه أبو عثمان خلف بن هارون القطيني»[٣].

ونصّ ابن الأبّار على ذلك فقال: «وروى عنه أبو عثمان خلف بن هارون القطيني»[٤]. واختصر الذهبي فقال «عنه خلف بن هارون»[٥].

٨- محمد بن غالب[٦].

قال الحميدي: «وأنشدني، قال: أنشدني أبو علي إدريس بن اليمان لنفسه»[٧].

٩- أبو عبد اللّه محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبد اللّه الأزدي الحميدي[٨] (ت ٤٨٨هـ).

قال في جذوته: «وقد أدركت زمانه ولم أره»[٩].

١٠- أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن هشام المصحفي[١](٣٩٣-

---

(١) الذخيرة: ٣٣٧/١/٣.

(٢) جذوة المقتبس: ١٩٨، مطمح الأنفس: ٢٨، اختصار اقتباس الأنوار: ١٨٢، بغية الملتمس: ٢٨٩، نفح الطيب ٤٥٩/٣-٥٥٥.

(٣) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٤) التكملة: ١٩٥/١.

(٥) تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٦) جذوة المقتبس: ٧٦، بغية الملتمس: ١٢٥.

(٧) جذوة المقتبس: ٧٦.

(٨) انظر ترجمته ومصادره في كتاب تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ ٧٢٥/٤. وثمة دراسة ضافية موسَّعة في مقدمة **تحقيقي لكتابه تسهيل السبيل** الذي سينشر قريبًا إن شاء اللّه تعالى.

(٩) جذوة المقتبس: ١٦٠.

٤٨١هـ(.

قال ابن خير في فهرسته عن صاعد اللغوي: «قال أبو بكر المصحفي: وفي شعر ابن حجاج المذكور مجون كثيرة، وكان يسمعه معنا عليه شيخ من بني مفرج أقارب القاضي ابن مفرج[٢]، وإدريس بن اليماني الشاعر»[٣].

١١- **شيخ من بني مفرج**. كما هو واضح في الخبر السابق.

وفاته:

على قلَّة المراجع الحديثة التي ترجمت لابن اليمان واختصارها فإن المراجع التي ذكرت وفاته مجمعة على أنه «كانت وفاته سنة ٤٧٠»[٤]، وعلى ذلك د. عمر فروخ صاحب الترجمة الوافية الوحيدة لابن اليمان الذي يفصِّل ذلك في سفره الكبير فيقول «وكانت وفاة إدريس بن اليمان سنة ٤٧٠ (١٠٧٧) وإذا نحن قبلنا أن يكون مدحه قد بدأ بابن مقنة وزير يحيى ابن حمّود، وكان يحيى قد حكم مالقة في فترتين بين سنة ٤١٢، وسنة ٤٢٧، (١٠٢١- ١٠٣٥) فيجب أن يكون قد عاش ثمانين سنة أو تزيد»[٥]!!

(١) بغية الملتمس: ١٣٩، الصلة: ٥٢٦، فهرست ابن خير: ٤٢٩، فهرست ابن عطية: ١٠٢-١٠٦، سير أعلام النبلاء ٥٨٠/١٨، فهرس الفهارس ٥٧٣/٢، شعر ابن شخيص الأندلسي: ٢٣، شعر ابن هذيل القرطبي: ٩٩.

(٢) ترتيب المدارك ٩٨/٦، الصلة، ١٣٦/١، سير أعلام النبلاء ٣٠/١، ٨٣/٨، تاريخ الإسلام (وفيات ٤٢١-٤٤٠هـ(: ٥٠١، المرقبة العليا: ٧٨، نفح الطيب ٦٤٣/٢١، إيضاح المكنون: ٣١/٣، هدية العارفين ٢٧٥/١، الأعلام: ٢١٣/٢.

(٣) فهرسة ابن خير: ٤٠٦.

(٤) من ترجمة د. إحسان عباس لابن اليمان في حاشية الذخيرة ٣٣٦/١/٣، وكذلك علماء الأندلس: ٤٧١. معجم الحضارة الأندلسية: ٨٩. معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة: ٤٤.

(٥) تاريخ الأدب العربي (د. فروخ): ٦٢٣/٤.

وإذا عدنا إلى المصادر التي اعتمد عليها د. فروخ في ترجمته لابن اليمان نجد أنها لا تهتم بوفاته وليس سوى كتاب واحد منها يذكر سنة وفاته هو الوافي بالوفيات للصفدي الذي حدّد سنة وفاة ابن اليمان بسنة (٤٥٠هـ(وليس (٤٧٠هـ(فمن أين أتى بهذا الرأي الواهم؟!

ثم إن مقدمات التحليل كانت ناقصة وواهمة فوزير يحيى بن حمود هو ابن بقنّة وليس ابن مقنة وكذلك فإن النتائج ليست صحيحة إذ لم يشر أحد من المترجمين أن ابن اليمان قد امتد به العمر ووصل إلى مرحلة الشيخوخة فبلغ الثمانين أو أكثر ولم يشر (د. فروخ) إلى مصدر تحديده لوفاة ابن اليمان.

وإذا بحثنا عن ذلك المصدر فسوف نجد أنه كتاب فوات الوفيات فقط. وأعجب من ذلك أن أغلب المصادر الأندلسية التي ترجمت لابن اليمان لم تذكر سنة وفاته وأن الذين ذكروا وفاته هم المترجمون المشارقة.

وأول من ذكر وفاته هو الحافظ ابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ(وهو معاصر له، وقد ذكر أن ابن اليمان «بقي إلى قبل سنة أربعين وأربعمئة»[١].

ونقل السمعاني عنه ذلك[٢].

كما أن ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ(يذكر أنه «بقي إلى قبيل سنة ٤٤٠»[٣].

ويتشكك ابن الأبّار (ت ٦٥٨هـ(في زمنه فيقول «وأحسبه توفي في نحو الخمسين وأربعمئة»[٤].

ويذكر الذهبي (ت ٧٤٨هـ(أنه توفي «في حدود ٤٤٠، كان بالأندلس»[٥]،

(١) الإكمال: ٤٧٦/١.

(٢) الأنساب ٦٧٤/٥.

(٣) معجم البلدان ٤٨٦/٥ (يابسة).

(٤) التكملة ١٩٥/١.

(٥) المشتبه ٦٦٤/٢، وعنه توضيح المشتبه ١٩٩/٩، تبصير المنتبه ١٥٠٣/٤.

ولكنه في كتابه تاريخ الإسلام يجعله في قسم خاص «بالمتوفين تقريبًا» ويقول: «وتوفي في نحو الخمسين وأربعمئة»[١].

ويذكر الصفدي (ت ٧٦٤هـ(أنه «توفي سنة خمسين وأربعمئة»[٢].

وتفرّد الكتبي (ت ٧٦٤هـ(بالقول إنه «توفي سنة سبعين وأربعمئة»[٣]، ونظن أن ذلك وهم من الناسخ أو المحقِّق أو الطابع، فالكتبي قد نقل ترجمة ابن اليمان عن كتاب الوافي بالوفيات للصفدي الذي جعل وفاته سنة (٤٥٠).

ونحن نجزم بخطأ تحديد وفاة ابن اليمان بسنة (٤٧٠) لأمور كثيرة أهمّها:

١- إن ممدوحه المأمون بن ذي النون الذي توفي (٤٦٧هـ(تحسّر على فقده وموته كما ذكر ذلك شيخ مؤرِّخي الأندلس[٤]، الذي توفي كذلك قبل ذلك الزمن بسنة أي سنة (٤٦٩هـ(مما يؤكِّد حتمًا أن وفاته كانت قبل هذا الزمن بمدة طويلة.

٢- إن أزمنة حكم بعض ممدوحيه تشير إلى تقدُّم زمنه وسبقه للقرن الخامس بعقدين على الأقل، فقد مدح ابن واجب الذي وزر للمنذر بن يحيى الذي حكم بين (٤٠٨-٤١٤هـ(، ومدح ابن بقنّة الذي وزر للمعتلي الذي حكم قرطبة (٤١٢هـ(ومرة ثانية (٤١٦هـ(وتوفي سنة (٤٢٧هـ(، ومدح مجاهدًا العامري الذي حكم (٤٠٠- ٤٣٦) ومدح أبا زيد البكري (٤٠٣-٤٤٣) وهجا أبا جعفر ابن عباس (ت ٤٢٩هـ(قبل سنة ٤٢٥هـ.

وفي قبالة ذلك يجب ألا تسبق وفاته سنة (٤٣٦هـ(لأنه مدح إقبال الدولة بن مجاهد الذي حكم (٤٣٦-٤٦٨هـ(.

٣- إن ثمة عددًا من الحوادث تدل على تقدُّم ولادته قبل نهاية القرن

(١) تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٢) الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨.

(٣) فوات الوفيات ١٦٢/١.

(٤) الذخيرة: ١٤٠/١/٤.

الرابع الهجري، من ذلك أنه روى عن صاعد البغدادي[١] (ت ٤١٧) ديوان ابن حجاج البغدادي في سرقسطة بين سنتي (٢١٢-٢١٤هـ(لأن صاعدًا انتقل إلى صقلية نحو سنة (٤١٤هـ([٢].

ومثل هذا الديوان الذي يحتوي على مجون كثير لا يُروى للتلاميذ الصغار، كما أن شيخًا من بني مفرج قد سمع الديوان معه وليس من عادة السماع أن يسمع الصغير مع الكبير. فنظن أن ابن اليمان كان في سن تسمح له بحضور مثل هذه المجالس وسماع هذه الدواوين.

٤- ذكره معاصره ابن شهيد الذي توفي (٤٢٦هـ(في بعض كتبه كما تدل على ذلك بعض النقول التي أوردها الحميدي عن ابن شهيد كذكر اسمه ونسبته إلى بلده واستحسان بعض شعره[٣]. ثم إن ابن شهيد يُورد ذكره في خبره مع أبي جعفر بن عباس الذي جرى سنة (٤٢٥هـ([٤].

٥- ثم إن أصدقاءه وندماءه قد ماتوا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، فأبو جعفر ابن الأبّار توفي (٤٣٣هـ(وأبو الوليد الحميري توفي (نحو ٤٤٠هـ(وأبو عامر ابن مسلمة (قتله المعتضد).

٦- ويذكر الحميدي الذي وُلد زهاء سنة (٤٢٠هـ(وتوفي سنة (٤٨٨هـ(ابن اليمان فيقول عنه: «وقد أدركت زمانه ولم أره»[٥]، والعبارة الأولى تدل على قدم عهد ابن اليمان.

ومما سلف يتبيَّن لنا استحالة كون وفاة إدريس بن اليمان سنة (٤٧٠هـ(وأن الزمن الأقرب لوفاته هو في حدود الأربعين والأربعمئة أو في العقد الخامس

(١) فهرسة ابن خير: ٤٠٦.

(٢) انظر كتاب «صاعد البغدادي»: ١٣٩.

(٣) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٤) الذخيرة ١/١/٣٠٧.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠.

من القرن الخامس الهجري.

شعره

الثناء على الشاعر وشعره:

حظي إدريس بن اليمان بثناء عاطر وإطراء وافر من قبل المترجمين المعاصرين له والذين أتوا بعده من الأندلسيين والمشارقة.

فمعاصره ابن حيّان (ت ٤٦٩هـ(يتحدث عن ضعف الشعر وانعدام الشعراء الحذّاق في بعض بلاطات ملوك الطوائف، كالمأمون بن ذي النون، ويذكر بعض الشعراء الذين أنشدوه شعرًا ثم يعلّق بقوله: «فبدا على الشعر يومئذ انكسار ولحق أحفافه انهيار وأصم به الناعي مسمعًا يندب شجوه بابن اليماني مناديًا ينادي: يا إدريساه ولا إدريس يومئذ للقوافي، وكل شيء له حتف موافي»[(١)].

ويقول ابن الأبّار «وذكره ابن حيّان في تضاعيف تاريخه وأثنى عليه بالإجادة»[(٢)].

ويبدأ معاصره الآخر الحميدي (ت ٤٨٨هـ(ترجمته له بعد ذكر اسمه بقوله: «شاعر جليل عالم»، ويختم الترجمة بقوله عن الأندلسيين: «لم يكن بعد ابن درّاج من يجري عندهم مجراه»[(٣)].

ويسبغ عليه ابن بسّام ثوب الثناء المرقّل فيقول عنه: «انبعث انبعاث السيل، وأدرك إدراك الليل، حتى تضاءلت الهضاب عن قدره وماجت الأرض ببحره، وصار شعره سمر النادي وتعلّة الحادي، وتمثّل الحاضر والبادي... وقد أخرجت من أخباره ما يشهد بسمو مقداره، ويعرب عن غرائب أخباره»[(٤)].

---

(١) الذخيرة ٤/١/١٤٠.

(٢) التكملة ١/١٩٥.

(٣) جذوة المقتبس: ١٦٠-١٦١.

(٤) الذخيرة ٣/١/٣٣٦-٣٣٧.

وينعته أبو محمّد الرشاطي بأنه «شاعر متقدم يناظر بالقسطلي»[١].

وينشد ابن دحية شعرًا «للأديب العالم»[٢].

ويُسهب ابن الأبّار في مدحه في كتابه الأول التكملة فيقول: «وكان عالمًا بالآداب، إمامًا في صناعة القريض، أحد الشعراء الفحول»[٣].

ويثني عليه ابن الأبّار في كتابه الثاني الحلة السيراء عند الاستشهاد بشعره – عرضًا – فيقول: «كان إدريس هذا مقدّمًا من فحول الشعراء»[٤].

ويصفه ابن سعيد بوصف مهم في رايات المبرزين بقوله: «من أشهر شعراء الأندلس»[٥]، وهو الشاعر الوحيد الذي انتقاه من جزيرة «يابسة» في كتابه المغرب بل من الجزائر الشرقية كلها.

أما **ثناء المشارقة** عليه فقد سبقت كتب الأنساب إلى التعريف بهذا الرجل والثناء عليه، فقال معاصره ابن ماكولا فيه: «أديب شاعر متقدم يناظر بالقسطلّي»[٦].

ونقل ذلك السمعاني[٧]، وياقوت الحموي[٨]، واختصره ابن الأثير[٩].

ووصفه الذهبي في كتابه المشتبه بوصف عالٍ فقال: «الشاعر المفلق»[١٠].

---

(١) اقتباس الأنوار: ٨٢، واختصاره: ١٩٠.

(٢) المطرب: ١٣٠.

(٣) التكملة: ١/١٩٥.

(٤) الحلة السيراء: ٢/١٨٤.

(٥) رايات المبرزين: ٢٢٩.

(٦) الإكمال: ١/٤٧٦.

(٧) الأنساب: ٥/٦٧٤.

(٨) معجم البلدان: ٥/٤٨٦.

(٩) اللباب: ٣/٤٠٤.

(١٠) المشتبه: ٢/٦٤٤، توضيح المشتبه: ٩/١٩٩، تبصير المنتبه: ٤/١٥٠٣.

ونعته في كتابه تاريخ الإسلام بقوله: «كان أديبًا شاعرًا محسنًا، لم يكن بعد أبي عمرو بن دراج من يجري عندهم مجراه»(١).

وحلاّه ابن فضل اللّه العمري (ت ٧٤٩هـ(وحبّر مديحه تحبيرًا فقال: «أثار معدنها منه ذهبًا، وأطار زندها منه لهبًا، وقرّ حلمًا رجح وانبثّ سعيًا نجح، وكفل أبناءَ الأدب كفالة زكريا لمريم، وأقبل على أهل الطلب إقبال قيصر على جبلة بن الأيهم، وهمى وسميًّا ووليًّا ولا غرو لإدريس إذ رفع مكانًا عليًّا»(٢).

وفي العصر الحديث لا نكاد نجد ترجمة كاملة لابن اليمان إلا لدى الدكتور عمر فروخ – رحمه اللّه تعالى – فضلاً عن بعض الترجمات القصار(٣).

ويثني د. فروخ عليه ثناء عطرًا ويفصّل في أغراضه فيقول عنه: «شاعر جليل ومكثر مطيل، نجد في شعره الوجداني عذوبة، أما شعره الرسمي في الفخر والمديح ففيه تقليد للمشارقة في الأغراض، وهو – مع ذلك – من فحول الشعراء ولم يكن بعد ابن دراج من يجري مجراه في متانة التركيب وعلوّ النفس، وقد تصرّف في المديح

(١) تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٢) مسالك الأبصار: ١٧/٤١.

(٣) من أهم هذه الترجمات المختصرة التي ترجمت له:

– جزر الأندلس المنسية للدكتور عصام سالم سيسالم: ٥٣١.

– معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة: د. عفيف عبد الرحمن: ٤٤–٤٥.

– معجم الحضارة الأندلسية: د. يوسف عيد – د. يوسف فرحات: ٨٩.

– الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف د. سعد عبد اللّه البشري: ٣١٨.

وإضافة إلى ذلك لا نجد سوى إشارات خاطفة أو ذكرًا لاسمه فقط لدى بعض دارسي الأدب الأندلسي مثل د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة: ١١٥، وعصر الطوائف والمرابطين: ١٥٩، ومنيرة الشرقي في كتابها علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين: ٢٤٧، ٤٧١، ٧٧١.

تصرفًا حسنًا وكان يأخذ على القصيدة مئة دينار، وغزله ونسيبه حسنان وله وصف بارع للخمر وللطبيعة وله هجاء»[١].

وكذلك أشار د. سيسالم إلى أن ابن اليمان «من أشهر شعراء عصر الطوائف»[٢].

وقال د. البشري: «وصف ببراعته في الآداب وأنه من فحول الشعراء»[٣].

ووصفه كل من د. يوسف عيد ود. يوسف فرحات بأنه «شاعر وعالم جليل»[٤].

أما الثناء على شعره فطويل عريض يبدأ من معاصريه من المترجمين وأولهم ابن شهيد (ت ٤٢٦هـ(إذ يذكر الحميدي أنه «استحسن له أبو عامر ابن شهيد في التشبيه قوله:

فكأن كل كمامة من حولهم خلب وكل شقيقة نامور»[٥]

وثانيهم أبو الوليد الحميري (ت نحو ٤٤٠هـ(الذي يقدّم لجميع ما يختاره من مقطوعات ابن اليمان بأوصاف تدل على إعجاب بها وتقدير لها؛

فيقدِّم للمقطوعة الأولى بقوله: «وأنشدني لنفسه فيه أبو علي إدريس بن اليماني قطعة حسنة التشبيه وهي»[٦].

ويقدّم للمقطوعتين الثانية والثالثة ويعلِّق عليهما بالثناء الوفير:

«ولأبي علي إدريس بن اليماني فيه قطعة رفيعة الوصف بديعة الرصف وهي:

فتق الثرى من نوره بكواكب دعج النواظر والخدود عجائبِ

(١) تاريخ الأدب العربي (د. فروخ) ٦٢٣/٤.

(٢) جزر الأندلس المنسية: ٥٣١.

(٣) الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف: ٣١٨.

(٤) معجم الحضارة الأندلسية: ٨٩.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦١.

(٦) البديع في وصف الربيع: ٩٧.

فـأَدره علـيَّ الكـأسَ بيذختيـة في دولـة الـنجم الرفيـع الثاقـبِ

طبـع الربيـع علـى بـشاشته بـه طبـع الـشبيبة فـوق ثـدي الكاعـبِ

شبَّه لونه بلون أطراف الثدي وهو من الاختراع السري، وبيذختية منسوبة إلى بَيْذَخْت؛ قرية بعينها.

وأنشدني لنفسه أيضًا فيه بيتين أنيقي التشبيه وهما:

وأريـضة حـاك الغمـامُ بُرودهـا وسـقى بريـق الغانيـات برودَهـا

ضـحك البنفـسج فوقهـا فكأنمـا نثـرت بـه خـضر الحمـام عقودَهـا

شبهه بلون أطواق القماريّ، وهي موضع العقود ممن يستعملها، وهذا التمثيل مفضّل له مستحسن منه»[١].

ويقدّم للمقطوعة الرابعة بقوله: «وقال أبو علي إدريس بن اليماني يصفه بوصف متقدم الإحسان وهو»[٢].

ويقدّم للمقطوعة الخامسة بقوله: «وله أيضًا تشبيه عجيب أنشدنيه وهو»[٣].

ويقدّم للمقطوعة السادسة بقوله: «ولأبي علي إدريس بن اليماني فيه أوصاف مستطرفة وتشبيهات مستظرفة منها قوله»[٤].

ويقدِّم للمقطوعة السابعة بقوله: «ولأبي علي إدريس بن اليماني قطعة بديعة التشبيه موافقة الوصف لكل ما فيه وهي»[٥].

(١) البديع في وصف الربيع: ١١١-١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١٥.

(٣) المصدر نفسه: ١١٥.

(٤) المصدر نفسه:. ١٤٠

(٥) البديع في وصف الربيع::١٤٠.

وثالث ثناء من معاصريه من الحميدي (ت ٤٨٨هـ(الذي أدرك زمانه ولم يره يقول: ((ومما يستحسن له في صفة الدرق:

إلى موقحة الأبشار من درق يكاد منها صفا الفولاذ ينفطرُ

مؤنثات ولكن كلّما قرعت تأنّث الرمح والصمصامة الذكر))[١]

وتتوالى عبارات الإطراء والمدح والثناء على قصائده من قبل الأندلسيين الذين ترجموا له أو تعرّضوا له بالذكر، كابن بسّام الذي يبدي رأيه في بعض ما اختاره له في ترجمته فيقول عن قصيدته الكافيّة: ((يقول فيها في وصف الحمامة وأجاد ما أراد وزاد))[٢]، ويصف قصيدته الداليّة بقوله: ((ولإدريس من قصيد فريد))[٣].

ويعلِّق ابن بسّام أيضًا على مقطوعة يتنازعها ابن اليمان وابن الأبّار فيقول: ((وهي لمن كانت منهما رائقة ومتأخرة سابقة، في التزام العفاف مع السلاف، وما سمعت بأبدع منها لأحد من أهل هذا الأفق))[٤].

ويقدّم ابن الأبّار للأبيات التي أوردها لابن اليمان في مديح عبد العزيز البكري بأنها ((من قصيدة فريدة)) ويعلِّق على ما أورده منها بقوله: ((ثم تصرّف في المديح تصرّفه في النسيب وأحسن وأبدع))[٥].

وينقل ابن سعيد في رايات المبرزين عن ابن بسام بيتين أنشدهما لابن اليمان ويقدِّم لهما: ((وأنشد له وهو طائر بجناح الاشتهار:

ثقلت زجاجات أتتنا فرّغًا حتى إذا ملئت بصرف الراح

(١) جذوة المقتبس: ١٦٠، وانظر المطرب: ١٣٠.
(٢) الذخيرة: ٣/١/٣٤٥.
(٣) المصدر نفسه: ٣/١/٣٥٨.
(٤) المصدر نفسه: ٢/١/١٣٦.
(٥) الحلة السيراء: ٢/١٨٥.

خفّت فكادت تستطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالأرواح»[١]

ويقول ابن سعيد في المغرب عن البيتين السابقين إنهما «أبدع شعره»[٢]، ويجعلهما في كتابه عنوان المرقصات المطربات من أعلى طبقات اختياراته وهي طبقة المرقص[٣].

ويقدّم المقّري (ت ١٠٤١هـ) لهذين البيتين بقوله «ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله»[٤].

ما يُنسَب إليه وإلى غيره:

أشار ابن بسّام في القسم الأول من المجلد الأول من ذخيرته إلى أن ابن اليمان قد أخذ معنى من شعر ابن درّاج «فقال من جملة أبيات وهي ثابتة في موضعها من هذا المجموع:

بدر ألمّ وبدر الليل ممّحق والأفق محلولك الأرجاء من حسد
تحيّر الليل فيه أين مطلعه أما درى الليل أن البدر في

ولكن هذين البيتين لم يردا مع «جملة أبيات» في ترجمته ومختاراته الشعرية التي أوردها له في القسم الثالث من الكتاب، بل يفجؤنا ابن بسّام بإيرادهما في القسم الثاني في ترجمة معاصره أبي جعفر أحمد ابن الأبّار (ت ٤٣٣هـ) في آخر مقطوعة من تسعة أبيات ثم يعلّق عليها فيقول: «وقد رأيت من يروي هذه القطعة **لإدريس بن اليماني وهو الأشبه بما له من الألفاظ والمعاني**، وهي

(١) رايات المبرزين: ٢٣٠.
(٢) المغرب: ١/٤٠٠.
(٣) عنوان المرقصات والمطربات: ٥٩.
(٤) نفح الطيب: ٤/٧٥.
(٥) الذخيرة: ١/١/٨٧.

لمن كانت له منهما رائقة ومتأخرة سابقة، في التزام العفاف مع السلاف، وما سمعت بأبدع منها لأحد من أهل هذا الأفق»[١]. و قد نسبها صاحبا وفيات الأعيان و الوافي بالوفيات إلى ابن الأبَّار معتمدين على الذخيرة.

ما نُسب إليه وليس له :

١- نسب كلٌّ من صلاح الدين الصفدي وابن شاكر الكتبي مقطوعة في وصف الخمر إلى إدريس بن اليمان وجعلاها في مقدمة ما اختاراه من شعره وهي: «ومن شعره:

وموسّدين على الأكفّ رؤوسهم قد غالهم في السكر ما قد غالني
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى انثنيت ونالهم ما نالني
والخمر تعرف كيف تأخذ حقّها إنّي أملت إناءها فأمالني»[٢]

والمقطوعة من أشهر شعر أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الحفيد، يقول ابن سعيد في رايات المبرزين: «وأنشدني والدي عنه»[٣]، ويذكر الأبيات الثلاثة السالفة، والأبيات ثابتة النسبة إلى ابن زهر في وفيات الأعيان[٤]، ومعجم الأدباء[٥]، والمطرب[٦]، ونفح الطيب[٧]...

٢- ونسب المقّري لابن اليمان بيتين في وصف الحمامة فقال:

---

(١) الذخيرة: ١٣٦/١/٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ٣٢٧/٨، فوات الوفيات: ١٦١/١، وقد أوردها د. فروخ ضمن مختاراته لابن اليمان: ٦٢٥/٤!!

(٣) رايات المبرزين: ٥٦.

(٤) وفيات الأعيان: ٤٣٤/٤.

(٥) معجم الأدباء: ٢٥٥٥/٦ [فيه البيتان: الثاني والثالث].

(٦) المطرب: ٢٠٧.

(٧) نفح الطيب: ٢٤٧/٢.

«وقال أبو علي بن اليمان:

أبنات الهديل أسعدن أوعد نَ قليلَ العزاء بالإسعاد

بيد أني لا أرتضي ما فعلتـ ـنَّ فأطواقكنّ في الأجياد»[1]

وهو وهم جليّ منه لأن هذين البيتين من قصيدة شهيرة لأبي العلاء المعري مطلعها:

غير مُجدٍ في مِلّتي واعتقادي نَوحُ باكٍ ولا ترنّم شاد[2]

للبحث صلة

(١) المصدر نفسه: ١٥٦/٤.

(٢) ديوان سقط الزند: ٤٩-٥٢، شروح سقط الزند: ٩٧١/٣- ٩٨٠- ٩٨٣.